خطبة جمعة مفرغة

بعنوان

التذكار بعذاب الخارجين عن ملة

الإسلام

وإحباط أعمالهم وتخليدهم في النار

لفضيلة الشيخ

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله

مسجد إبراهيم شحوح سيئون

أبو عبدالله زياد المليكي

3 محرم 1445هجرية

الخطبة الأولى :

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس : أمر الله نبيه أن يذكر وأن ينذر، قال الله عز وجل:{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (9)}[الأعلى :9].

أي ذكر، وفي الآية الأخرى أبان أنها تنفع المؤمنين:{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55)}[الصافات:55].

فأمره بالتذكير :{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (9) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (10)}

ومدلول ذلك أنها تنفع المؤمنين الخاشعين، وأن الذي يخشى يتذكر قال:{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (11)} أي ما تنفع الأشقياء، التذكير لا ينفع الأشقياء،{قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (136)إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137) وَمَا نَحْنُ

بِمُعَذّبِينَ (138)}[الشعراء:138]
قال:{وَيَتَجَنّبُهَا الأَشْقَى (11) الّذِي يَصْلَى النّارَ الكُبْرَىٰ (12) ثمّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (13)}
وهذه الآية اشتملت على أمور عظيمة، منها أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتذكير والإنذار وقد فعل وسائر الأنبياء:{رُسُلًا مُبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرّسُلِ} [النساء:165].
فرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر وأنذر، وقال النعمان رضي الله عنه : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال :" أنذرتكم النار فلو أن أحدا بمكان كذا وكذا لسمعه.
وأمره الله عز وجل بذلك في قوله:{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39) إِنّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40)}[مريم:39،40].
أنذرهم، أنذر الغافلين الموعد قريب، أنذرهم الحسرة فإنهم سيتحسرون، إن لم يأخذوا النذارة، :{أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرّطتُ فِي جَنبِ اللّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السّاخِرِينَ (56)أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنّ اللّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ المُتّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ لَوْ أَنّ لِي كَرّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ (58) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبّرِينَ (60)}[الزمر:56،60].
فهي مثواهم مقرهم.
أمره الله بالإنذار:{وَأَنذِرِ النّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ فَيَقُولُ

الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (44) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45)}[إبراهيم:44،45].

فلا ينذرون، فقد جاءهم النذير، كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ}[فاطر:36].كل الكفار بشتى أنواعهم، سواء كان يهوديا، أو نصرانيا أو مجوسيا، أو هندوسيا، أو مرتدا، أي كافر، سواء كان منافقا فإن الكفار من المنافقين كفار في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا، بأي نوع كان كفره الذي أخرجه من الملة له نار جهنم ولا يخرج منها، وما هم منها بمخرجين، كما قال الله سبحانه وتعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36)}[فاطر:36].أي كافر يموت على كفر أكبر مخرج من الملة هذا جزاؤه{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ}

والصحيح أن نذير هو النبي صلى الله عليه وسلم، قال : أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال الله :{كذبت قوم لوط بالنذر}والأنبياء هم النذر ما هو مجرد الشيب{فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (37)}[فاطر:37].

لا أحد ينصرهم ولا يخرجون منها ولا يخفف عنهم، لهذا قال الله عز وجل:{ويتجنبها الأشقى} أي هؤلاء الذين أنذروا على صنفين منهم من يتذكر ويستفيد وهم أهل الخشية، المؤمنون

تنفعهم الذكرى، والآخرون الكفار لا تنفعهم الذكرى هم الأشقياء، لا تنفعهم الذكرى وهم سيصلون النار الكبرى، ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار كبرى، وفي هذه الآية النار الكبرى دليل على أن نار الآخرة كبرى، نارنا هذه صغرى، لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:"نَارُكُمْ جُزْءٌ مِن سَبْعِينَ جُزْءًا مِن نَارِ جَهَنّمَ، قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، إنْ كانَتْ لَكافِيَةً، قالَ: فُضِّلَتْ عليهنّ بتِسْعَةٍ وسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنّ مِثْلُ حَرّهَا.

فإذا هذه صغرى جعلها الله لانتفاع الناس على ما فيها من الحرارة إن كانت لكافية، ولكن تلك النار الكبرى نار جهنم فأخبر الله أن الكافر الشقي يصلى النار الكبرى نار جهنم، وأيضا ما يموت فيها، ما يموت يصلاها ولا يزال فيها يعذب ولا يموت ،ثم لا يموت فيها ولا يحيا، لا هو يموت ولا هو يحيى حتى أنه يتمنى الموت فلا يجده:{ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (77) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (78)}[الزخرف:77،78].

أي ماكثون على هذا الحال لا موت ولا حياة، ومستمرون فيها دائما وأبدا، وكذا يتمنون الراحة يوما واحدا إجازة منها ما يجدون،:{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (49)قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (50)} [غافر:49،50].

ما يستجاب لهم في ظلال، لا يموت فيها ولا يحيى، ثم لا

يموت فيها ولا يحيى، لأنهم أهلها،{سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (10) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (11) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (12) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (13)}[الأعلى:10،13].

وسحرت فرعون:{قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (73) إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (74) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (75)}[طه:72،75].

وفي هذا الحال أيضا نظير ذلك أنهم كلما نضجت جلودهم قد يقول قائل النار تأكلهم فإذا سيموتون؟ لا، كل ما زالت هذه الجلود بدلت غير هذه الجنود ليذوقوا العذاب:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}[النساء:56].

كفروا، إن الذين كفروا أي كافر حتى ولو تارك صلاة، مات تارك للصلاة وهو يقول لا إله إلا الله فإن هذا ينطبق عليه وعلى سائر الكفرة، حتى ولو كان ساحرا يقول لا إله إلا الله،{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ}[البقرة:102].

الآية ما دام كفره مخرجا من الملة وقامت عليه حجة الله :

{وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)} [النساء:115].

صبر أو لم يصبر هذا جزاؤه، {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (21)}[إبراهيم :21]. يخطب فيهم الشيطان بهذه الخطبة:{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)}[إبراهيم:22]

صبروا أو لم يصبروا، هذا حال الأشقياء لا يموت فيها ولا يحيا، ولا يوجد كافر بكفر أكبر مخرج من الملة يخرج من النار إلى الجنة أبدا، بدليل قول الله عز وجل :{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ}[النساء:48].

فمن كان على شرك أكبر كفر أكبر لا مغفرة له:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (34)}[محمد:33،34].

قال:{إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ} مأواه مقره {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (72)}[المائدة:72].

ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع، ولا أحد ينصره.

الشاهد من الآية: حرم الله عليه الجنة، من مات على الكفر بالله الشرك بالله المخرج من الملة محرم عليه الجنة، ومما يؤيد ذلك أيضا قول الله عز وجل:{وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ

الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50)}[الأعراف:50].

لا ماء ولا شيء مما رزقهم الله من من الجنة، لا يمكن أن يذوقوا منها شيئا، محرمة حرمهما على الكافرين:{الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ}منسيون متروكون في عذاب جهنم{كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51)}[الأعراف:51].

يا عبد الله وجب التذكير بمثل هذا، إن أمر الغفلة عن هذا الأمر أمر خطير، الكفار خالدون في النار، أي مشرك أي كافر بالله سبحانه وتعالى مخلد في النار، فاحذر يا عبد الله الشرك ، واحذروا الكفر، وحافظ على الإسلام، تنجو من الخسارة:{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)}قال:{وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5)} إن جميع الكفار أعمالهم محبوط {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1)}[محمد:1] أي أحبطها، الله يقول لنبيه وهو معصوم عن ذلك :{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ} أي من الأنبياء{لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (66)}

لا شك أنهم معصومون لكن على هذا لو قدر هذا أو فرض هذا آحد إيمانه مثل إيمان النبي صلى الله عليه وسلم من البشر مع هذا الإيمان كله والعمل كله عند الأنبياء ومع ذلك ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين لئن أشركت أي فما بالك بغيرك، أي عمل

عنده وقد مات على الكفر لا قيمة لعمله ولا يجوز أن يحتسب وأن يقول عنده كلمة كذا أو عنده قول كذا مهدور كهباء منثور: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (23)}

كسراب بقيعة :{مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ}

عندهم نكران عندهم صلة عندهم أعمال، نعم أعمالهم كسراب بقيعة أي بأرض قيعة{يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)}[النور:39].

قال:{أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ}

وكلكم يعرف هذا المثل ينسفه الريح ما يبقى منه:{مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18)}.

ذكر الله جملة من الأنبياء في سورة الأنعام ثم قال :{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88)} فوجب الإيمان بأن الكفر محبط للأعمال، وجب الإيمان بأن كلمة التوحيد وأن الإسلام له نواقض فإذا انتقض إسلامه فلا يجوز أن يحتسب من أعماله شيء، وأن التوحيد يتنقض، إن الدين عند الله الإسلام ، ينتقض

،بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا.

وقال الله عز وجل :{وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن

دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}[البقرة:217].

أي الكفار، هذا القتال والثورة على المسلمين بلسان الحال والمقال والمال وبشتى الأنواع هو لقصد ردة المسلمين عن دينهم قال:{وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)}

وعد الله توعد الله سبحانه وتعالى أن أصحاب النار يخلدون فيها أهلها الذين لا يموتون فيها ولا يحيون مخلدون فيها، أهل النار هم أصحاب النار الذين لا يموتون فيها ولا يحيون، أما أهل التوحيد فإنهم ليسوا أهلا للنار إنما يمحصون، يمحصون ومآلهم إلى الجنة، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار، الحديث في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، أما بعد: حافظ أيها المسلم على دينك، حافظ عليه أن ينتقض عليك إسلامك، إن العبد ليتكلم بالكلمة يهوي بها في النار سبعين خريفا، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا، قال الله سبحانه وتعالى :{قُلْ أَبِاللَّهِ} أولئك الذين ظنوا أنهم يمزحون لكلامهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين،{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)}[التوبة:65،66].

الذين أصروا على ذلك واستمروا عليه عذبهم الله لإجرامهم، ولهذا وهم كما سمعت يقول نخوض ونلعب، حافظ على إسلامك أيها المسلم على دينك، حافظ على دينك تنجو به، قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه، حافظ على دينك فإن من مات على الكفر ملعون، الكفرة لعنهم الله على ألسنة الأنبياء، كيف يقال إنهم يخرجون من النار؟ نصراني قد يخرج من النار هذا كلام خالف الدليل، ومن خالف الدليل ضل السبيل، ولا دليل إلا ما جاء به الرسول، كذا قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله، من فارق الدليل ضل السبيل، هذا كلام ضال ترده الأدلة ويرد الأدلة:{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (30)اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ

أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ}[التوبة:30،31].

المسيح ابن مريم اتخذه ربا، أهناك شرك أكبر من هذا ؟

{وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32)}

قال الله :{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6)}[البينة:6].

النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرته أم سلمة بما رأت في الحبشة حين هاجرت مع زوجها عبد الله بن عبد الأسد وكنائسهم قال: إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح وقال العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله، وقد قال الله :{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56)}[الأنفال:55،56].

الآية الأخرى:{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22)}[الأنفال:22]. فافقه دين الله يا عبد الله ، واعلم علما يقينيا وأعتقد أن الإسلام نجاة، وأنه له نواقض تنقضه، وأن من مات وقد انتقض إسلامه سواء كان كافرا أصليا أو مرتدا أنه خسر حياته كلها نفسه وماله:{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ}[الزمر:15،16].

هكذا النار فوقهم وتحتهم :{حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ

رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104)أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108)}[المؤمنون:99،108].

الآيات، وكلها دليل على خلودهم وعدم خروجهم، تلفحوا وجوههم النار تأكلهم النار من كل جانب، ويود هذا الذي هذا الجهنمي الذي في جهنم أعني الخالد فيها يود أن يفتدي بكل شيء:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ} كل ما في الأرض ومثله معه، الواحد لو يملك مثل الدنيا كلها الأرض كلها، كل ما فيها من أملاك، ومثل هذه الأرض كلها {لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (36)}[المائدة:36] يريدون أن يخرج من النار، هم يريدون بأي وسيلة حتى بمل الأرض ومثل ذلك،

{وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (37)}

قال:{يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (14) كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (15) نَزَّاعَةً

لِلشّوَىٰ (16) تدْعُو مَنْ أدْبَرَ وَتَوَلّىٰ (17) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (18)} الآيات.

والشاهد: لا يمكن أن يفتدي بذلك بشيء، ولا يمكن أن يخرج من النار حتى يلج الجمل في سم الخياط، وهذا شيء مستحيل أن يلج الجمل في ثقب الإبرة:{إِنّ الّذِينَ كذّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ حَتّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40)لَهُم مّن جَهَنّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ (41)} [الأعراف:40،41].

لباسهم نار،{وَالّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مّن نّارٍ يُصَبّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُم مّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (21) كُلّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22)}[الحج:19،22].

وقال الله سبحانه وتعالى:{إِنّ شَجَرَتَ الزّقّومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49) إِنّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ (50)}[الدخان:42،50].

هذا يدل على أنه هذا عذاب دائم مستمر ذق وبالاستمرار، وهكذا قال الله سبحانه وتعالى:{ إِنّ جَهَنّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطّاغِينَ مَآبًا (22) لّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23)}[النبإ:21،22].

ومعنى أحقاباً: أي مددا لا عدد لها أبد الآبدين هكذا فهم السلف من كلمة أحقابا،هذا هو الفهم الصحيح في لابثين فيها

أحقابا أي دهورا، ليس مفهوم الآية أنه يمكثون ثم يخرجون، ولكنها مبينة بأدلة الخلود في النار للكافرين، لا يسمع بيهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن به إلا كان أهل النار، من سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به صار من أهل النار الذي لا يخرج منها، الحديث في الصحيح قالت عائشة رضي الله عنها قال رجل يا رسول الله اسأله عن ابن جدعان كان يقري الضيف ويكرم المسكين يطعم المسكين قال: هل ينفعه ذلك؟ قال: لا: إنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين أي ما أسلم، فلهذا ما يستغفر له ولا يغفر الله له:{مَا كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113)}[التوبة:113].

أي أهلها، استغفار لا ينفع:{وَمَا كانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ}الكافر كل كافر أي نوع كان كفره فهو عدو الله:{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114)}

قال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} فسمى الله الكافر أعداءه وصفهم أعداء له، والمؤمنون أولياء الله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (144)}[النساء:144].

وقال :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) }[المائدة:52].

قال :{فترى الذين في قلوبهم مرضا} فهذا كله يدل على أنهم أعداء الله وأنهم ملعونون:{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) }[المائدة:78،79].

قال :{ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67)

رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (68)} [الأحزاب:64،68]

يتضاعف عذابهم لا ينقص أبدا:{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37)

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ

لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (39)}الآيات.

كلهم لهم عذاب متضاعف لا ينقص عذابهم ويتبرأ بعضهم من بعض:{إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)}[البقرة:166،167].

أيها الناس: الحذر الحذر، أمر ربنا سبحانه وتعالى بالإنذار من النار، فوجب ذلك وجب الإنذار من النار:{ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22) وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} أي كفار أي كافر، كل كفار عنيد وهذا على الكفر المخرج من الملة:{أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26)}

قال:{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43)} تراك الصلاة أصحاب صقر ما كانوا مصلين فهم من أهلها، {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (47)}

إلى قوله:{ فما تنفعهم شفاعة الشافعين}

نسأل الله عز وجل العافية، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحانك اللّٰهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.